مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

التصور الرشدي لطبيعة الحركة بين المادة والصورة

الدكتور برهان مهلوبي*
جمعة الطراف**

(تاريخ الإيداع 4 / 3 / 2014. قبل للنشر في 6 / 7 / 2014)

□ ملخّص □

سأحاول في هذا البحث الكشف عن طبيعة التصور الرشدي لحدوث الحركة بين الموجودات في العالم ، وطالما أن الموجودات تتألف من مادة وصورة فإن الحركة تقوم على الاتحاد بين المادة والصورة حتى تحصل عملية التحوّل من القوة الكامنة في المادة عن طريق الفعل الموجود في الصورة، وهنا يأتي دور الفاعل "المحرك" الذي يحرك المادة للاتحاد بالصورة عن طريق الحركة . وبذلك فإن الحركة إنما هي بمثابة صيرورة جدلية بين المادة والصورة التي تؤلف طبيعة الموجودات في العالم ، وبذلك تظهر الحركة على أنها إخراج المادة إلى الصورة عن طريق القوة والفعل بواسطة الصيرورة الحركية بين الموجودات . ومن ثم فإن تصور الحركة عند ابن رشد يبرز أهمية المادة والصورة والقوة والفعل كعناصر أساسية لحدوث الحركة في الوجود ، والتي تحتاج إلى محرك ومتحرك " المادة والصورة والفعل والفاعل".

الكلمات المفتاحية: 1-الجدلية 2- الحركة 3-المادة 4-الصورة 5-الصيرورة 6-القوة 7-الفعل 8-المحرك 9-الماهية

* أستاذ مساعد – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين اللاذقية– سورية.
** طالب دراسات عليا " دكتوراه " – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

The research title conception for movement between material and form Averroes

Dr. Brhan Mhloobi [*]
Guma Al Taraf[**]

(Received 4 / 3 / 2014. Accepted 6 / 7 / 2014)

□ ABSTRACT □

In this research I'm going to expose Averroes maturity conception of legal movement to occur in the world and among the assets ; as long as the assets are composed of material and form , the movement depends on the union between material and form until you get to the process of trans formation of the power in herent in the material by the action in the form .

And here comes the role of the actor which moves the material toward the union with form through movement , so the movement also serves as a process of the dialectic between the material and form that consist the nature of the assets in the world , and thus show the the movement it is bringing out of material to the form by the dialectic of power and action by becoming kinetic between assets .

Thus , the conception of movement to Averroes highlights the important of form power and act as essential elements for the occurrence in existence . He stressed the vole of each element in the movement as well as the movement needs an actor and moving thing which are (material ,form, actor).

Key words: 1-matter 2-form 3- power 4-act 5-Movement 6- Motive

[*]**Assistant Professor, philosophy Department, faculty of Arts and humanities, Tishreen university, Lattakia, Syria.**
[**]**Postgraduate student, philosophy Department, faculty of Arts and humanities, Tishreen university, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

وتتضمن تحديد أهداف البحث وأهمية البحث والمنهجية المستخدمة في البحث .

أهمية البحث وأهدافه:

أهداف البحث : تتجلى في النقاط الآتية .

1-الكشف عن طبيعة التصور الرشدي للحركة الجدلية " الانطولوجية " بين المادة والصورة .

2-التأصيل الفلسفي والعلمي لمفهوم الحركة المادية والجدلية بين الموجودات في المتن الرشدي .

3-إبراز أهمية الحركة المادية والجدلية على صعيد تفسير كل عمليات التغير والصيرورة بين الموجودات.

4- الكشف عن مفهوم الحركة المادية والذاتية التي تنشئ في إطار الصيرورة الحركية الجدلية بين الموجودات في المستويات كافة.

أهمية البحث : تتجلى في النقاط التالية :

1-الاستفادة من الفلسفة الرشدية العقلانية في وضع نظرية فلسفية لتفسير مفهوم الحركة في الوجود.

2-الاستفادة من المساهمة الرشدية الأصيلة في التأسيس للمنهج العلمي في تفسير الحركة في العالم المادي .

3-الاستفادة من البحث في مجال تفسير الحركة بكونها مصدر أساس لإنتاج كل أنواع الطاقة.

4 -الاستفادة من الإسهامات " الإرهاصات " التي قدمها ابن رشد في مجال تطور مفهوم الحركة على المستويات الفلسفية العلمية والطبيعية في الفكر الفلسفي والعلمي.

منهجية البحث :

سوف استخدم المنهجية البحثية " التاريخية النقدية والمقارنة " في تتبع تفسير الحركة في المتن الرشدي ، والكشف عن عملية التأصيل الرشدية لمفهوم الحركة المادية والذاتية بين المادة والصورة .

مكان البحث \محافظة حلب \ تاريخ البحث 2.13 / 2.14 م.

يعتقد ابن رشد أن مبادئ الوجود المادي ثلاثة 1 -المادة [matter] 2 -الصورة 3 -المركب منهما ، وأن العدم يلحق المادة والصورة من حيث العرض ،وبذلك يقرر أن المادة والصورة توجدان من حيث الجوهر " الذات" لأن المادة والصورة تبقيان في جميع الحالات مبدأين جوهريين للوجود المادي في المنظومة الفلسفية الرشيدية . ومن منطلق المنهج التاريخي النقدي والمقارن رفض ابن رشد نظرية الفيض الأفلوطينية التي أخذ بها الفارابي وابن سينا وخصوصاً مقولة " واهب الصور" عند ابن سينا ، عبر اعتبار المادة والصورة قديمتان و مستقلتان عن المحرك " الله "، وكذلك رفض مذهب أهل الاختراع والإبداع " المتكلمين" الذي يقرر أن الله يبدع الوجود بدون مادة سابقة ، وبذلك يعتقد ابن رشد أن فعل المحرك " الله "، يكمن في حركة الإمكان باتجاه التحقيق ، وبذلك يقول في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن فعل الفاعل المحرك يكمن في إخراج ما هو بالقوة إلى الفعل) [1] .

وعليه فإن عملية الانتقال " التحرك " بين المادة والصورة في التصور الرشدي ليست عملية ميكانيكية أو إقحامية كما هي في التصور الأرسطي ،وإنما هي عملية ديناميكية داخلية لأن المادة إنما تقبل الصورة لأنها تملك الإمكانية والتهيؤ للاتحاد بالصورة التي تناسبها وليست أي صورة، وبذلك فإن المادة والصورة تتحركان حركة ذاتية بواسطة فعالية

المحرك " الله " التي تكمن في شكل أساس في عملية التحريك ، وبذلك فإن الفاعل " المحرك" مسؤول عن أخراج ما هو بالقوة إلى الفعل بحيث ينتج عن هذا الإخراج تكّون المركب من المادة والصورة .

وعليه يعتقد ابن رشد أن الفاعل " المحرك" لا يفعل المادة والصورة وإنما يفعل المركب منهما ، وبذلك فإن الوجود الخاص للمادة والصورة ليس مرتبطاً بفعل المحرك بل يرتبط فعله بعملية الانتقال من المادة " الإمكان" إلى الصورة " التحقق " وإحداث المركب من المادة والصورة . وبذلك فإن المادة تتضمن بالضرورة صفة الإمكانية للتحرك وهي صفة جوهرية للمادة وهي قابلة دائماً للاتحاد بالصورة التي تقبلها ، وبذلك فإن المادة تعتبر بمثابة الحامل الأساس للصيرورة الحركية في العالم المادي على نحو أزلي لا ينقطع، وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن المادة الأولى وإن كانت واحدة فإنها كثيرة بالقوة والاستعداد)[2] .

وبحسب التصور الرشدي لطبيعة العلاقة الجدلية بين المادة والصورة أستطيع القول : إن المادة والصورة تدخلان بشكل ضروري في مقومات تكّون صيرورة الأشياء في العالم المادي ،بمعنى آخر أن الحركة " الصيرورة " تتمثل في عملية التكّون والخروج من القوة في المادة إلى الصورة بالفعل ، وعليه فلا يوجد خلق من عدم في التصور الرشدي الحركي للعالم المادي ، وفي هذا السياق يقول ابن رشد في كتابه تهافت التهافت (إن كل شيء يكوّن فإنما هو من شيء وإلى شيء [3] .

وفي الحقيقة حصر ابن رشد الفعل الإلهي في إخراج " تحريك " ونقل ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل فقط ، وبذلك يعتقد أن المادة والصورة يمتلكان وجودهما وماهيتهما من خصائصهما الذاتية بالطبع بدون تدخل من قوى خارجية،وعليه يعتقد ابن رشد بأزليته وخلود المادة والصورة وإنهما لا تفسدان وإنهما قديمتان وغير مخلوقتين وأن المادة لا تنفك عن الصور إلا بالتخيل الفكري فقط، أما في الوجود المادي المحسوس فلا انفكاك بين المادة و الصورة أبداً ،وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن الصورة غير كائنة ولا فاسدة إلا بالعرض ،و كذلك الأمر في المادة وأن الكائن الفاسد في الحقيقة هو الشخص المركب من المادة والصورة)[4] .

وخلال ما سبق سنطرح السؤال الآتي : ما هي طبيعة المادة الأولى التي يتحدث عنها ابن رشد ؟ يعتقد ابن رشد أنها شيء ما بالفعل أصلاً فهي إما جسم وإما نفس وإما عقل ، فهي تمتلك قوة خلاّقة تجعلها تتطور بشكل تدريجي بحيث تكتسب صورة وأشكالاً عقلية مختلفة ، وهذا التطور يتم عن طريق عملية الصيرورة " الاتحاد " بين المادة والصورة، وكذلك يعتقد ابن رشد أن المادة بمثابة مبدأ أساسي في التمييز بين الأشياء والأشخاص ، لأن الهيولى الخاصة لأي شيء تكّون شخصيته المميزة له عن بقية الأشياء، وبذلك تكون المادة هي العامل الذي يحدد ويطبع الصورة على نحو ما.

وبخصوص العلاقة بين المادة والصورة يرى ابن رشد أن الهيولى بطبيعتها جوهر موجود بالقوة وأن الصورة هي الجوهر الموجود بالفعل ، وأن الاتصال بينهما يتم عن طريق الحركة التي هي بمثابة الصيرورة الأزلية في الانتقال من الإمكان في القوة إلى الصورة بالفعل .وعليه يعتقد أن المادة موجودة قبل الصورة بالزمن، بمعنى أن المادة تكون دائماً مقترنة بالصورة التي تحدد صفاتها الجوهرية " الوجودية" من خلال ارتباطها الوثيق مع فعل الصورة ، وبذلك يرجع ابن رشد الصورة إلى التغيرات الكمية التي تطرأ على المادة ، لأن الصورة هي بمثابة الوظيفة الذاتية الداخلية للمادة وأسلوب وجودها الكمي ، وأن المادة توجد على هذا الشكل أو ذلك وهي دائماً تحتوي عنصر التحقق، وبذلك يتحدث طيب تيزيني في كتابه مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط عن مكانة المادة في المنظومة الفلسفية الرشدية بقوله (إن المادة موضوع عملية تحول " تحرك " خالدة أزلية لا تتوقف) [5] .

وفي إطار تصوره للعلاقة الحركية بين المادة والصورة يعتقد ابن رشد أن الوجود المادي والزمان لا ينقطعان ولا يتوقفان عن الوجود من ناحية الأزلية " القبل" ومن ناحية الأبدية " البعد " لأن المادة والصورة موجودان بشكل ضروري في حركة أزلية أبدية لأنهما تؤلفان طبيعة الموجودات المتحركة في العالم المادي . وعليه نستنتج :أن المادة والصورة هما مصدر الحركة الأزلية في الوجود والتي تتجلى في الصيرورة الكونية الوجودية من القوة "الإمكان" إلى الفعل " التحقق "، وهذا التحوّل الأزلي يعبر عن التغير بعامة ، وهذا يعبر عنه بلغة العلم الحديث بعملية التأثير والتأثر المتبادل والشامل في نطاق ظواهر العالم المادي المتحرك .

ويمكنني من خلال ما سبق استنتاج رأي علمي متطور لابن رشد بخصوص مفهوم جوهرية " بقاء " المادة والتي تعني بأنه لاشيء يضمحل بشكل مطلق في العالم المادي بل يوجد تحوّل من شكل إلى شكل آخر جديد من المادة بواسطة الحركة ، وإذا كان ذلك كذلك بلغة ابن رشد فإن المادة تبقى خالدة وثابتة لا تفنى أبداً وإنما تتحوّل من القوة إلى الفعل بواسطة الحركة.وفي هذا السياق يحدد ابن رشد في منظومته الفلسفية معناً جديداً للتطور والوجود الذي يعبر عنه بعملية التكوين الوجودي، حيث يقول في كتابه تهافت التهافت (إن التكّون هو انقلاب الشيء وتغيره مما بالقوة إلى الفعل) [6] . وبذلك أستطيع القول : إن المادة بحسب الصور الرشدي إنما هي بمثابة الوجود المادي الصائر والمتحول بشكل أزلي بواسطة الحركة الأزلية والذاتية للمادة في العالم المادي والتي تكشف عن معاني التطور وحفظ المادة والطاقة وعن تنوع العالم المادي المتحرك .

وبحسب طبيعة البحث سنطرح التساؤل الآتي : هل يوجد أولوية للمادة على الصور في عملية حدوث الحركة في العالم المادي؟ ، يعتقد ابن رشد أن المادة لا توجد إلا مع الصورة ، ولكن هذا لا يعني أن ابن رشد يعطي أهمية للصورة على المادة بالمعنى الأنطولوجي " الوجودي "، أي أن الصورة لا تمتلك الأولوية في الوجود مقابل المادة بل فقط من اعتبار معرفي نظري ، في حين تظل الصورة هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذات المادة ، ولأن الصورة لا تقحم على المادة من الخارج وإنما تنتقل فيها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل عن طريق الحركة ، وعليه يحدد ابن رشد طبيعة المادة في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة بقوله (إنها الشيء الموجود بذاته من غير أن يكون كيف ولا كم ولا غير ذلك من هويات المقولات) [7] .

وفي الحقيقة يقسم ابن رشد الهيولى إلى قسمين 1- الهيولى المطلقة " الأولى" : وهي الهيولى غير المصورة وهي المادة الأولى وطبيعتها أنها لا توجد إلا بالصورة لأنها لو وجدت بغير صورة لكان مالا يوجد موجوداً ، وبذلك فإن الهيولى تكون بالقوة دائماً والقوة ظلها ، وهي بمثابة القوة والإمكان لجميع الصور وهي لا تتعرى عن الصورة أصلاً والإمكان والقوة ليس في جوهرها بل هي موضوعة لهما 2-الهيولى الخاصة " القريبة ": وهي الهيولى المصورة وتشمل مادة الأجسام المركبة من العناصر الأربعة، ومن خصائص هذه الهيولى أنها لا تفسد فيه الصورة وقسم ثاني تبقى فيها الصورة عند قدوم الصورة الجديدة ، وبذلك أستطيع القول : إن المادة في التصور الرشدي للحركة مرتبطة بالتغير والحركة عموماً .

وفي سياق تصوره للحركة بين المادة والصورة يضيف ابن رشد خصائص جديدة للمادة وهي أن المادة بمثابة العنصر " المبدأ " الأول لجميع الموجودات المتحركة، وهي توازي السبب الذي يطلق على بداية حركة الموجود أو الذي يكون منه الشيء، وهي بمثابة السبب الرئيس في حصول التغير والحركة في المكان والكون والاستحالة . وبالإضافة إلى ذلك فهي تقال على العلل الأربع " المادة ، الصورة ،الفاعل، الغاية " ، فهناك علتان توجدان في الشيء " المادة والصورة " وهناك ما يوجد خارجي الشيء " الفاعل والغاية "، وبذلك أستطيع القول: إن المادة والصور تشكل منطلقاً

أساسياً تعتمد عليه الفلسفة الرشدية في تفسير كل عمليات التغير والحركة والصيرورة التي تحدث في العالم المادي من خلال عملية الاتحاد " التحرك " بين المادة والصورة.

وفي الحقيقة التاريخية والعلمية للنسق الفلسفي الرشدي تتصف المادة والصورة بالأزلية وأنهما لا تفنيان أبداً وأنهما لا تنفصلان إلا في التصور العقلي وأن الفساد يطال المركب من المادة والصورة، وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن لفظ الجوهر يطلق على المادة والصورة والمركب منهما) . [8]وعليه يعتقد ابن رشد أن المادة والصور تتمتعان بالجوهرية بينما المادة ليست جوهر بالفعل ، بل هي بمثابة إمكانية وقوة لا متعينة ولا تصبح جوهراً إلا من خلال اتحادها بالصورة ،والمادة ليس فيها شيء من الفعل أصلاً وهي خالية من كل قوة على الفعل ولا تمتلك صورة معينة ، وهي بمثابة القوة والإمكان لجميع الصور وهي لا تنفك عن الصورة إلا في التصور العقلي.

ومن خلال ما سبق وحسب طبيعة البحث سنطرح التساؤل التالي : ما هي علاقة الهيولى " المادة " بالحركة والتغير عند ابن رشد ؟، يعتقد ابن رشد أن من أهم خصائص المادة أنها موجودة بالقوة دائماً وهي تكون بالفعل متى اتحدت مع الصورة ،لأن القوة لا تفارق المادة أبداً بل هي بمثابة الظل للمادة، ولأن الصورة لا تقترن بالمادة إلا بوساطة الفعل، ولأن الفعل بمثابة الظل للصورة ، وبذلك نستنتج : أن عملية الاتحاد بين المادة والصورة تتم بواسطة الحركة التي هي بمثابة عملية تحوّل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ، فالقوة الموجودة في الهيولى هي السبب المحدث لبداية الحركة أو الصيرورة ، والفعل الموجود في الصورة هو الغاية التي تنتهي إليه الحركة " الصيرورة " .

وعليه فإن المادة تكتسب أهمية خاصة في المنظومة الفلسفية الرشدية من حيث هي بمثابة المصدر الأساس لكل عمليات التغير والتحوّل والكون والفساد في العالم المادي المتحرك ، وبهذا السياق يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة : (إن التغير هو من فعل الهيولى) [9]. وبذلك يرجع جميع أنواع التغيرات في الأجسام الطبيعية إلى التغير العام في المبدأ الهيولاني ، من حيث أن جميع التغيرات في الطبيعة ترجع إلى التغير في الجوهر "المادة "، لأن الهيولى هي الأساس في عملية الكون والفساد ، حيث أنها تقبل جميع التغيرات في العالم المادي.وعليه أنتقد ابن رشد الفلاسفة الطبيعيين الذين خلطوا بين المادة الأولى وبين العدم في حال الحركة والتغير ، وعليه يعتقد ابن رشد أن العدم اللاحق للمادة الأولى يختلف عن القوة والاستعداد الذي في الهيولى لأن القوة والاستعداد تمّكن المادة من الاتحاد بالصورة عندما يعرض لها العدم .

وعليه يعتقد ابن رشد أن العدم هو مبدأ بالعرض بالنسبة إلى الهيولى وليس ذاتياً في الشيء، وبذلك يقول في كتابه تهافت التهافت (إما المادة فإنها موضوع للصورة ثابتة عند تعاقب الصورة عليها وارتفاع العدم) [.1] . وبذلك تكون المادة وجوداً وليس مجرد استعداد لتلقي الصورة،لأن المادة الأولى تمتلك وجود موضوعي حقيقي غير متعين "عدم ما " وبذلك فهي تتجوهر من خلال اتحادها مع الصورة بواسطة الحركة ، ولأن المادة الأولى موجودة بالقوة دائماً وأنها تكون بالفعل متى اقترنت بالصورة بوساطة الحركة، وبذلك تكون المادة الأولى بمثابة العلة الأولى للحركة والتغير في الموجودات المتحركة .

وبناءً على ما سبق أنتقد ابن رشد موقف أفلاطون من الحركة حين جعل الصورة المثالية هي السبب الرئيس في التغير والكون والفساد ، بينما أرجع ابن رشد جميع أنواع التغيرات في العالم المادي إلى الهيولى بكونها جوهراً بالقوة ، في حين أن جميع التغييرات ترجع إلى التغير في الجوهر، وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن سائر التغيرات تتبع التغير الذي في الجواهر بمعنى أن ما يوجد له التغير الذي في الجوهر توجد له سائر التغيرات الأخرى)[11]. وحسب رأي ابن رشد في التغير نستنتج :أن الهيولى هي موضوع التغير الذي في الجوهر ،

وبذلك فإن الحركة تكون وسطاً بين الذي بالفعل وهو الصورة وبين العدم الذي بالعرض ، لأن الهيولى تشبه الوجود من جهة والعدم من جهة أخرى .

ورغم أهمية المادة كحامل أساسي للحركة في العالم المادي لم يهمل ابن رشد دور الصورة في التغير والحركة في تصوره للحركة في العالم المادي ،لأن الصورة هي الأصل في الطبيعة، حيث يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن الطبيعة هي الصورة)[12] . وبذلك بحث ابن رشد مفهوم الصورة في العلم الطبيعي من جهة علاقتها بالهيولى بكونها مبدأ الفعل في مقابل المادة التي هي مبدأ القوة والإمكان ،ثم انتقال إلى دراسة الصورة الأولى والغاية الأولى التي هي صورة بدون مادة ، وبذلك يقول ابن رشد عن الصورة من حيث علاقتها بالهيولى في كتابه شرح السماع الطبيعي (إن صاحب العلم الطبيعي ينظر في المادة من أجل الصورة وينظر في الصورة من حيث هي في مادة وغير مفارقة بالقول فضلاً عن الوجود) [13].

وعليه يعتقد ابن رشد أن الصور هي بمثابة المبدأ الذي يتوقف عليه ظهور " تحرك " الشيء إلى الوجود الحقيقي بالفعل، لذلك وضع ابن رشد الأسباب الثلاثة " الصوري، الغائي، الفاعلي" في مقابل السبب المادي الهيولاني، وبذلك تكون الصور بمثابة الكمال الذي تبلغه الموجودات الطبيعة في كل تحولاتها وأشكالها الحركية، حيث يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن السبب الغائي الذي هو السبب الأخير في ظهور الشيء و إنما هو الآخر من أجل الصورة) [14]. وبذلك فإن العلاقة بين المادة والصورة واضحة في الأجسام الطبيعية المتحركة ، لأنه لا يمكن تصور أي جسم طبيعي متجوهر واقع في الحركة والتغير إلا ويكون مركب من مادة وصورة ،وبذلك تكون الحركة بمثابة الصيرورة الجدلية بين المادة والصورة بواسطة التحوّل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل .

وعليه استطاع ابن رشد أن يقدم تصوراً جديداً لطبيعة العلاقة بين المادة والصورة بأنها علاقة حركية جدلية وضرورية ولا يمكن الفصل بينهما وهما متساويتان في الوجود والجوهر، حتى أنه يضيف خصائص أخرى للصورة ، وهي أن أي إنكار للصورة هو إنكار للفعل وإنكار الفعل يعني إنكار للفاعل، ومن ثم تصبح الحركة مستحيلة في العالم المادي لأن وظيفة الفاعل " المحرك " الأساسية هي التحريك أي إخراج المادة من القوة إلى الفعل بواسطة الحركة . وعليه نستنتج: أن المادة الأولى إنما وجدت لأجل الصورة ، التي هي بمثابة الغاية الأولى في الكون لأنها ترتبط بالفاعل أصلاً، وبذلك يعد ابن رشد الصورة جوهراً أزلياً على غرار خصائص المادة الأولى وهي لا تفسد أبداً وهي تتدرج في الوجود حتى ترتقي إلى صورة الصور وهي بلا مادة أصلاً " المحرك " الفاعل للحركة .

وفي سياق تفسيره لطبيعة العلاقة الحركية بين المادة والصورة يعتقد ابن رشد أن وظيفة الصورة في العلم الطبيعي تكمن في إخراج ما بالقوة " الهيولى" إلى الفعل ، كون العلم الطبيعي إنما يدرس الموجودات الواقعة في الحركة والتغير بنوعيها البعيدة والقريبة ، بينما العلم ما بعد الطبيعي يدرس الصورة الأولى التي هي الغاية الأولى والكمال الأول باعتبارها جوهراً بالفعل ، وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن النظر في الصورة يرتقي إلى النظر في الصورة الأولى من حيث هي جوهر بالفعل) [15].وعليه نستنتج : أن دراسة الصور في المستوى الما بعد الطبيعي من حيث هي جوهر منفصل عن الهيولى تنتهي إلى فعل صورة أولى بلا مادة وهو المحرك الأول " الله ".

وفي سياق تصور ابن رشد لطبيعة دور الصورة في حدوث الحركة بين الموجودات يميز بين مستويين لدراسة الصورة 1- المستوى الطبيعي لدراسة الصورة باعتباره توضح السبب المادي والمحرك " الفاعل " للموجودات 2-المستوى ما فوق الطبيعي في دراسة الصورة لأنه توضح السبب الصوري والسبب الغائي للموجودات، وعليه يعرف

ابن رشد الصورة في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة بقوله (هي التي تحمل بذاتها على ذي الصورة من طريق ما هو وهي التي تعرف ماهيته الجوهرية وهي الطبيعة التي يتغير إليها الجوهر الذي هو العنصر)[16] .

ومما سبق سنطرح التساؤل الذي يطرح نفسه علينا في البحث ما هي علاقة الصورة بالحركة والتغير في التصور الرشدي للحركة في العالم المادي ؟، في الحقيقة ربط ابن رشد بين التغير والصور بكون الصورة هي الطبيعة التي يتغير إليها الشيء المادي ويستكمل وجوده ، وهي التي تمنح الشيء المادي وجوده الحقيقي ،لأنها هي الجوهر المعرّف لذات الشيء التي تعطيه وجوده الحقيقي عن طريق ماهيته الجوهرية ، لأن الصورة تمنح الشيء المادي ماهيته الحقيقية المتمثلة بعملية تشخصه واكتسابه أبعاده الذاتية .

وفي إطار تصوره لعلاقة الصورة بالحركة يعتقد ابن رشد أن الصورة هي بمثابة المبدأ الذي في الشيء فضلاً عن الهيولى ، وكذلك فإن " العلة " مرادفة للصورة لأن الصورة بمثابة العلة في وجود الشيء وهي تحديد كينونة الموجود، وكذلك تشكل الصورة الهوية للموجود بالفعل والتي بالقوة في الجوهر " المادة ، الصورة ". وكذلك تقال الصورة بمعنى الجوهر، لأنها تمنح الموجود شخصيته الجوهرية التي توازي صورته وعلته التي بها أصبح جوهراً مثال : النفس للمتنفس لأن النفس صورة في الجوهر بالفعل "الإنسان" .

وعليه أنتقد ابن رشد الفلاسفة الطبيعيين الذي حاول تفسير الحركة في العالم عبر التأكيد على أولوية العنصر المادي " الهيولاني" على حساب الجانب الماهوي الصوري ،لأنهم بحثوا عن الجوهر المادي من حيث هو واقع في الحركة والتغير، بينما خالفهم ابن رشد وحاول إعادة الاعتبار إلى السبب الصوري ، وبذلك نستنتج : أن الصورة جوهر بالفعل وهي الأصل في تجوهر الجسم الطبيعي المتحرك، وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن الصورة جوهر بالفعل وأن الشيء لا يمكن أن يوجد بالفعل مشخصاً إلا بها) [17].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه على مجريات البحث : هل هناك أولوية للصورة على المادة في موضوع الجوهرية ؟، من خلال متابعة آراء ابن رشد بشأن الجوهر الذي لا يحمل على شيء أصلاً وتحمل عليه سائر الأشياء أستطيع القول: إنه أكد على توازن موقفه الفلسفي من مسألة جوهرية المادة أم الصورة أم المركب منهما، من خلال اعتبار المبادئ الثلاث السابقة جواهر،حيث يقول في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة : (إن الهيولى هي جوهر من حيث هي موضوع للصورة ، والصورة جوهر من حيث هي مقوّمة للموضوع ، والمركب منهما جوهر من حيث هو مركب من المادة والصورة)[18] .ولكنه في الحقيقة يميل إلى إعطاء الأفضلية للصورة في صفة الجوهرية لأنها متقدمة في الوجود على الهيولى والمركب منهما ، ولأنها موجودة بالفعل بينما المادة موجودة بالقوة .

ولكن السؤال المركزي الذي سنطرحه ما هو علاقة الصورة بالحركة والتغير ؟، وما هو دور الصورة في صيرورة الموجودات الواقعة في التغير؟، يرى ابن رشد أن الصورة هي مبدأ بالفعل وأساس الوحدة في الأشياء المتحركة لأنها تمثل الطرف النهائي لحركة الموجودات ، على اعتبار أن الحركة هي الانتقال من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وبالتالي فإن الصورة تعد بمثابة المحرك القريب للمادة عبر فعلها الخاص في مساعدة المادة للخروج من حالة الإمكانية إلى التحقق الفعلي " الوجودي ".

وبذلك تكون الحركة حسب التصور الرشدي لطبيعة الحركة الجدلية في الوجود المادي المتحرك تقع في منطقة وسطى بين القوة المطلقة " المادة " والفعل المحض " الصورة " ،وعلية تصبح الحركة بمثابة وجود وسط بين الانتقال والخروج من القوة إلى الفعل لأنه يقسم الوجود إلى ثلاثة أقسام 1- الوجود بالقوة والإمكان المحض 2- الوجود بالفعل والكمال المحض 3- ما هو متوسط بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل وهو المؤلف بين ما في الإمكان وما في الكمال .

وبذلك نستنتج: أن الحركة هي التي تجمع بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل أي بين الجانب المادي والصوري عبر عملية التحقق الواقعي الحركي للموجود الطبيعي للوصول إلى الكمال .

وفي سياق تفسيره لطبيعة الحركة في الوجود يرجع ابن رشد الكمال والثبات في الموجود إلى فعل الصورة بمقابل الإمكان والتغير الذي يرجع إلى الهيولى، وبذلك تكون الحركة بمثابة فعل ناقص يتحقق كماله بالصورة . وفي الحقيقة يعتقد ابن رشد أن الصورة ليست خاضعة للزمان في علاقتها مع الحركة لأن الصورة هي كمال الحركة ونهايتها ، ولأنها تعطي الهيولى الوحدة والاتصال عن طريق الحركة.وبذلك نستنتج: أن الفعل الأساس للصورة هو إخراج ما بالقوة إلى ما بالفعل عن طريق الحركة ، لأن الفعل مرتبط بالصورة والقوة مرتبطة بالمادة الخاضعة للتغيرات المختلفة والتي تقبل الصور المختلفة ، بينما الصورة موجودة بالفعل دائماً وتمثل كمال الشيء ، وبما أن الطبيعة هي مبدأ الصورة وهي بمثابة الكمال المتحقق للشيء الذي هو موجود بالقوة والإمكان ، فإن حركة الموجود تعود إلى الصورة التي هي أعلى درجات الفعل لأنها تشكل طبيعة الموجود المتحرك.

ومن منطلق الحقيقة التاريخية أستطيع القول: إن الحركة هي علاقة جدلية بين المادة والصورة حسب التصور الرشدي للحركة بين الموجودات في العالم المادي ، لأنه يعتقد أن الموجودات تتكون من مبدأين هما المادة والصورة، بحيث لا توجد هيولى بدون صورة ولا توجد صورة جوهرية بدون هيولى، وبذلك فإن الحركة الجدلية للواقع المادي هي السبب الرئيسي في عملية الاتحاد بين المادة الموجودة بالقوة والصورة الموجودة بالفعل ، بحيث يتحقق الترابط الأنطولوجي " الوجودي " بين المادة والصورة عن طريق الحركة الجدلية للواقع المادي ، فهي ليست علاقة ماهوية بل هي قائمة على العلاقة بين العلل الأربعة " المادية ، الصورية، الفاعلية،الغائية ".

وعليه يعتقد ابن رشد أن العلة المادية الهيولانية وجدت من أجل الصورة ،وبذلك فإن المادة مفعولة من قبل الصورة بوصف الصورة هي الغاية الأولى في الكون، بمعنى آخر أن الصورة هي التي تنقل المادة من حالة اللاتعيّن إلى حالة التعيّن عن طريق الحركة. وبالمقابل فإن المادة محل للصورة ولكن الصورة لا تستطيع أن تحرك المادة إلا بسبب وجود تلك القابلية والإمكانية في الهيولى ، وهنا يأتي عمل الصورة عن طريق عملية إخراج ما في الهيولى من استعداد وإمكانية إلى التحقق والفعل عن طريق الحركة، وبالتالي الوصول بها إلى مرحلة الكمال والتحقق الذي يحصل بواسطة الصورة الجوهرية .

وعليه سنطرح السؤال التالي الذي يفرضه طبيعة البحث: ما هو الفاعل " المحرك " لكل من المادة و الصورة ؟، بمعنى آخر هل حركة المادة والصورة ذاتية أم هي حركة خارجية؟، يرى ابن رشد أن فعل المحرك يقتصر على إخراج ما هو بالقوة إلى الفعل عن طريق فعل التحريك الذي يتم بوساطة عملية الاقتران بين المادة والصورة ، وبذلك فإن الصورة لا تقحم على المادة من الخارج وإنما هي بمثابة فاعلية حركية داخلية للمادة والتي تتجلى في العلاقة الجدلية بينهما،وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة(إن الفاعل المحرك يفعل المركب من المادة والصورة عن طريق التحريك الذي يخرج ما في المادة من قوة على تقبل الصورة إلى الفعل)[19].

وفي سياق تفسيره لطبيعة العلاقة الحركية بين المحرك والمادة والصورة يعتقد ابن رشد أن المادة والصورة لا تفسدان إلا بالعرض وإن الذي يفسد هو المركب من المادة والصورة ، وبذلك فإن فعل الفاعل" المحرك" لا يتعلق بالمادة والصورة وإنما بالمركب منهما ، حيث يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن فعل الفاعل لا يتعلق بالمادة أو بالصورة بل هو المخرج للموضوع حتى يقبل الصورة بمعنى هو المحرك للمادة من القوة إلى الفعل) [.2] . وعليه نستنتج : أن ابن رشد أرجع جوهرية الشيء المتحرك إلى فعل الصورة بكونها مصدر الحركة في الشيء ، ولأن

الهيولى بمفردها لا تؤلف موجوداً مشاراً إليه ، وإنما الموجود يصبح مشخصاً ويتحقق وجوده من خلال الصورة التي تحل فيه باعتبارها المحرك والفاعل له . ولكن هل يمكن للعنصر" المادة " الواحد أن يقبل صوراً مختلفة ؟ يؤكد ابن رشد أن بعض الصور لا تقبل إلا مادة واحدة فقط وفي بعض الأشياء يكون العنصر مختلفاً باختلاف الصور المتعاقبة عليه.

وبحسب رأيي الشخصي أستطيع القول: هناك علاقة حركية جدلية وجودية " أنطولوجية " بين المادة والصورة في التصور الرشدي لطبيعة الحركة بين المادة والصورة ، والتي تظهر من خلال الحركة الديناميكية بين المادة والصورة عن طريق خاصيتي القوة والفعل ، وهذا ما يميز التصور الرشدي للحركة عن التصور الأرسطي الذي عد العلاقة بين المادة والصورة مجردة علاقة ميكانيكية " إقحامية " آلية خالية من الفاعلية الداخلية بينهما ،بينما عدها ابن رشد بمثابة علاقة حميمية "وجودية " قائمة على التفاعل الداخلي في إطار حركة تبادلية " جدلية " بينهما.

وبذلك أستطيع القول : إن ابن رشد يرفض مصادرة الخلق من عدم مطلق عند اللاهوتيين بشكل عام ، وكذلك يرفض مصادرة الفساد المطلق للشيء على صعيد المادة والصورة ،وبذلك يقول بفكرة قدم المادة والصورة وارتباطهما عن طريق الحركة ، فإن جميع الصور موجودة بالقوة في المادة الأولى وهي بالفعل في المحرك الأول، ولأن الصورة هي التي تفعل في المادة عن طريق الحركة ،وبذلك يقول ابن رشد في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن الصور الجوهرية لا تقبل الأكثر والأقل فإنه لا يكون إنسان أكثر إنسانية من إنسان من حيث صورته وأن الواحد الذي يدل عليه الحد الواحد هو واحد بالجوهر الذي هو الصورة) [21] .

وفي الحقيقة يعتقد ابن رشد أن الفاعل " المحرك" لا يؤثر في المادة والصورة بل في المركب منهما ، وبذلك يقول في كتابه تفسير ما بعد الطبيعة (إن العلاقة بين المادة والصورة تجعل ليس في قوة المحرك " الفاعل" أن يصنع الصورة إلا في المادة المخصوصة بتلك الصورة فقط) [22]. وهذا الأمر ينطبق على الموجودات الصناعية بينما في الأمور الطبيعية يؤكد ابن رشد على دور العلل الأربعة " المادية ،الفاعلية،الصورية،الغائية " في وجود الأشياء بالفعل، وبذلك يقتصر دور المحرك " الفاعل" في إخراج ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل ، وهذا يتم عن طريق الحركة " التغير" الذي يرجع إلى فعل الصورة المحركة للمادة بحيث تمنحها الكمال، وبذلك تتجوهر المادة وتتعيّن عن طريق علاقتها الحركية الوجودية بالصورة، حيث يقول ابن رشد في تفسير ما بعد الطبيعة (إن المادة هي التي ترى عن طريق الصورة أي أنها هذا الشيء عن طريق ما يرى) [23] .

وبذلك نستنتج بعد إطلاعنا على تصور ابن رشد لطبيعة العلاقة الحركية بين المادة والصورة :أن الحركة إنما هي بمثابة عملية اقتران بين المادة بالصورة عن طريق فعل الصورة التي تحرك المادة وتمنحها وجودها المادي المحسوس، وبذلك تكون العلاقة بين المادة والصورة علاقة اتصالية وحركية جدلية ،لأن المادة تتحرك نحو الصورة ولأن الصورة هي التي تكمل وجود المادة بحيث تصبح معقولة عبر علاقتها بالصورة، وبذلك يقول ابن رشد في تفسير ما بعد الطبيعة (إن الهيولى بالرغم من أنها جوهر تبقى شيئاً موجوداً مشاراً إليه لا بالحس ولا بالعقل وإنما عن طريق الصورة)[24].

وعليه أستطيع القول : إن طبيعة الصورة في التصور الرشدي للحركة إنما هي تدرك عقلياً عن طريق فعلها " التحريك " لتحقيق كمال الشيء المتحرك، على اعتبار أن الصورة هي التي تمنح النظام والوجود للشيء المتحرك، ولأن الموجود المتحرك هو نتيجة الاقتران بين المادة والصورة عن طريق المحرك الفاعل، وطبيعة هذا الاقتران بين المادة والصورة أنه لا يوجد انفكاك فيه أبداً في الواقع المادي إلا في التخيل العقلي، وبذلك نستنتج: أن العلاقة بين

المادة والصورة في المنظومة الفلسفية الرشدية هي علاقة ديناميكية وجودية بخلاف التصور الأرسطي الذي عدها علاقة ميكانيكية جامدة خالية من الفاعلية الحركية الداخلية بينهما .

ومن منطلق المنهج التاريخي النقدي والمقارن أنتقد ابن رشد موضوع الصور المفارقة عند أفلاطون حيث لا توجد لديه صور مفارقة في عالم المثل الأفلاطونية ، وعليه فإن الصور عند ابن رشد إنما ينظر إليها في نطاق الأمور الطبيعية والصناعية فقط ، وهي خاضعة للتغير من شكل إلى شكل آخر وليست ثابتة أزلية ، بالمقابل يرى ابن رشد أن البحث عن طبيعة الصور المفارقة للمادة غير الخاضعة للتغير والكون والفساد هو من اختصاص علم ما بعد الطبيعة "الميتافيزيقا"، وبذلك فإن ماهية الأشياء موجودة في ذاتها وليست في عالم مثالي .

وفي الحقيقة يحدد ابن رشد طبيعة الفاعل " المحرك " بمجموعة خصائص 1–الفاعل متميز عن المتحرك " المادة والصورة " 2–الفعل واحد بالعدد 3– قد يكون المحرك من جنس المتحرك مثل الإنسان يولد إنسان 4– قد لا يكون من جنس المتحرك الإنسان يحرك العكاز ، وبذلك نستنتج : أن المهمة الأساسية للفاعل هي تحريك المادة وإخراج ما فيها من القوة إلى الفعل، وبهذا الخصوص يقول ابن رشد في تفسير ما بعد الطبيعة (إن الفاعل هو الذي يخرج غيره من القوة إلى الفعل ومن العدم إلى الوجود)[25].

وبذلك فإن فعل الفاعل " المحرك " في التصور الرشدي لطبيعة الحركة بين المادة والصورة لا يقحم الصورة على المادة من الخارج ، ولا يخترع المادة والصورة لأنه سيكون شيء من لاشي وهذا محال.وكذلك فإن الصورة لا تتكون من ذاتها ولو كان ذلك كذلك لوجد الكون من غير مادة وهذا محال،وبذلك فإن فعل الفاعل يتعلق بالمركب من المادة والصورة وليس بهما لأنهما أزليتان ،وبذلك يقتصر فعل الفاعل في إخراج " تحريك " المادة من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل ،لأن المادة تحتوي بالقوة على الصورة " الإمكان "، وأن كل مادة تقبل صور معينة خاصة، وبذلك يحدد محمد عابد الجابري فعل الفاعل المحرك في التصور الرشدي للحركة في الوجود في كتابه ابن رشد سيرة وفكر بقوله (إن الفاعل ينقل " يحرك " الإمكانات إلى حيز التنفيذ والفعل عن طريق التحريك، الذي يشكل جوهر عملية الخلق المستمر التي هي بمثابة الحركة من القوة المحضة " المادة " إلى الفعل المحض "الصورة) [26] . وبذلك أستطيع القول :إن المبدأ الأساس في كل الحركات في التصور الرشدي للحركة في الوجود إنما هو بمثابة تحقق المادة في الصورة بشكل أزلي.

خاتمة:

في نهاية البحث أستطيع القول: إن ابن رشد استطاع أن يفسر طبيعة الحركة في الوجود بكونها عملية جدلية بين الموجودات المتحركة في إطار الصيرورة الحركية بين المادة والصورة التي تتجلى في عملية الخروج " التحرك " من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل. وعليه أصبحت الحركة في التفسير الرشدي بمثابة المبدأ الأساس في كل عمليات التغير والتحوّل بين الموجودات المركبة من مادة وصورة ، وعليه تكون الحركة بمثابة المبدأ الوجودي الذي يجمع بين المادة والصورة بوساطة الصيرورة الجدلية بين الموجودات بواسطة خاصيتي القوة والفعل.

وبذلك أستطاع ابن رشد أن يقدم تصوراً جديداً لطبيعة الحركة في الوجود باعتبارها علاقة جدلية بين الموجودات المتحركة من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل، وعليه تعتبر الحركة بمثابة المفتاح الأساسي لفهم كل عمليات التغير والتبدل " الحركة " في العالم المادي .وعليه نستنتج :أن ابن رشد فيلسوف الحركة بامتياز عبر الإسهامات "

الإرهاصات " التي قدمها في مجال تطور مفهوم الحركة على المستويات الفلسفية العلمية والطبيعية في الفكر الفلسفي والعلمي.

الاستنتاجات والتوصيات:

يجب متابعة الدراسة والتعمق " التخصص الأكاديمي " في مجالات دراسة نظريات الحركة، وتتبع التطبيقات العملية لمفهوم الحركة والكشف عن انجازاتها على صعيد التكنولوجية ، والطاقة النووية، والصناعات التقنية التي تساهم في تقدم الوطن من خلال زيادة مستويات التنمية البشرية والعلمية ، عن طريق أنشاء مراكز بحوث علمية وطنية في مجال دراسة الحركة وتفسيراته " الأرصاد الجوية، الطاقة النووية، الطاقة المتجددة " .

المراجع:

1- ابن رشد، *تفسير ما بعد الطبيعة* . تحقيق موريس بويج ،الطبعة الأولى ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، 1938 ، عدد الصفحات (1753). ص1498 .

2-المصدر السابق .ص1171 .

3-ابن رشد، *تهافت التهافت* ، تحقيق محمد عابد الجابري. الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة ، بيروت، 1998،عدد الصفحات (.6.). ص191 .

4-ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة . ص851 .

5- تيزيني، طيب ، *مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط* . الطبعة الخامسة، دار دمشق ، دمشق،198.، عدد الصفحات (414) . ص 385 .

6-ابن رشد،تهافت التهافت. ص187.

7-ابن رشد ،تفسير ما بعد الطبيعة. ص776 .

8- المصدر السابق . ص769 .

9-المصدر السابق . ص78. .

1-.ابن رشد، تهافت التهافت. ص 16 .

11-ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة. ص126 .

12-المصدر السابق .ص512 .

13-ابن رشد، *شرح السماع الطبيعي* .تحقيق عبد الرحمن بدوي ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1984 ،عدد الصفحات(958) .ص 15 .

14-ابن رشد ،تفسير ما بعد الطبيعة . ص7.9 .

15-المصدر السابق. ص887 .

16- المصدر السابق . ص897 .

17-المصدر السابق . ص761 .

18-المصدر السابق . ص77. .

19-المصدر السابق .ص1499 .

.2-المصدر السابق .ص885 .

21-المصدر السابق . ص1.67 .

22-المصدر السابق .ص1.73 .

23-المصدر السابق .ص1468 .

24-المصدر السابق.ص1476 .

25-المصدر السابق.ص1499 .

26-الجابري، محمد عابد، *ابن رشد سيرة وفكر*. الطبعة الأولى،مركز دراسات الوحدة بيروت، 1988، (343) . 19.